خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة حنين)][1]

الخطبة الأولى/

إن الحمدَ لله نحمدُه تعالى ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }[سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }[سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالى ،وأنَّ خيرَ الهديِ هديُ نبينا محمدٍ صلى اللهُ عليه وآلهِ وصحبه وسلم، وشرَ الأمورِ محدثاتُها، وكلَ محدثةٍ بدعة، وكلَ بدعةٍ ضلالة،وكلَ ضلالةٍ في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }**[سورة التوبة : 25]

---

[1]-المصادر بعد القرآن والسنة،الصحيح المصفى من سيرة النبي المصطفى للشيخ سليم الهلالي حفظه الله،وبعض كتب السير،كسيرة ابن هشام،وكتاب دلائل النبوة للبيهقي.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :"يذكر تعالى للمؤمنين فضلَه عليهم وإحسانَه لديهم في نصرِه إياهم في مواطنَ كثيرةٍ من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى ، وبتأييده وتقديره ، لا بعددهم ولا بعددهم ، ونبههم على أن النصر من عنده ، سواء قل الجمع أو كثر ، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ثم أنزل [الله] نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه ، .. ليُعلِمَهم أنَّ النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ..."ا.ه

وفي هذا اليوم نأخذ بعض الدروس والعبر من هذه الغزوة العظيمة التي كانت موطنا عظيما من مواطن العز والتمكين التي أعز الله به الإسلام والمسلمين،فإن في معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته لعبرة لأولي الألباب، فإن المسلم يستفيد من سِيَرهم في حياته، ويأخذ منها العبر والعظات في رحلته، ويزيد بذلك إيمانه،ويعلم ماذا جرى لأولئك الأخيار الأبرار،من المهاجرين والأنصار والذين لحقوهم من القرى والأمصار،فرضي الله عنهم وأرضاهم، فقد قدموا للإسلام والمسلمين كل غالٍ ونفيس، وبذلوا في سبيل ذلك دماءهم، وتركوا أوطانهم، وهاجروا من أجل دينهم، يبتغون رضا ربهم،وحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يحمون منه أنفسهم وأعراضهم،وفدوه بأرواحهم وجعلوا نحورهم دون نحره،وأعز الله بهم دينه، ووصل إلينا الدين غضا طريا عن طريقهم،فهم سلفنا يجب علينا أن نجلَّهم ونتأسى بهم ونتبعهم كما أمرنا الله بذلك،وأمرنا نبيه كذلك، فقد مات عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راضٍ،فمن أحبهم أحبه الله،ومن أبغضهم أبغضه الله،لأنهم أولياؤه وأصفياؤه وصحابة نبيه،فقد رضي عنهم وشهد لهم بالجنة لايحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، لن يبلغ أحد إلى ما بلغوا،ولا يسبقهم أحد بالشرف والفضل مهما كثرت عبادته، وكيفما كان عمله؛لأن شرف الصحبة لا يعدلها شيء.

قال تعالى:**{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }**[سورة التوبة : 100]

أيها المسلمون:

إن في غزوة حنين دروسا وعبر وفوائد يستفيدها المسلم في حياته، فمن هذه الفوائد التي نستفيدها من هذه الغزوة:أن النصر ليس بالكثرة وأن الهزيمة ليست بالقلة،إنما النصر من عند الله، وله أسباب منها الإيمان والإخلاص والطاعات والتوكل على الله والأعتماد عليه والثقة به،والبعد عن المخالفات والمنكرات والبدع والمحدثات والاختلافات فإنها سبب للإنهزام وسبب للذلة والانتكاسة وتسلط الأعداء،وقد نصر الله نبيه ومن معه من المسلمين في غزوة بدر وهم قلة قليلة، بل كانوا غير مستعدين للقتال؛ لأنهم خرجوا لاعتراض القافلة،فنصرهم الله بإيمانهم وتوحيدهم ودعائهم وتوكلهم على الله،وأهلك عدوهم وهم ثلاثة أضعافهم،قال تعالى: **{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }**[سورة آل عمران : 123]

ونصر الله طالوت وجنوده وهم قلة قليلة،فقد كانوا على عدد أهل بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر،وهزم الله جالوت وجنوده وهم كثرة هائلة،كما أخبر الله عنهم في كتابه: **{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ }**الآية[سورة البقرة : 249 إلى 251]

وبالمقابل فقد هُزم المسلمون في غزوة حنين في أول الأمر وهم كثرة،إذ كانوا اثني عشر ألفا،فأعجبوا بكثرتهم،فقال بعضهم :لن نهزم اليوم من قلة،فحصلت الهزيمة في أول المعركة ولم يبق إلا القليل ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليهم وسلم، فثبتهم الله عز وجل فسطوا على عدوهم وهزموهم بإذن الله تبارك وتعالى،لتعلموا أن الكثرة ليست سببا للنصر،وليست الأكثرية أيضا حجة،كما قال تعالى:**{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }**[سورة يوسف : 103] وقال سبحانه: **{ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }**[سورة الأنعام : 116]

وتكون الأكثرية ممدوحة إذا كانت على الحق،ولن تكون الكثرة سببا للنصر إلا مع الإخلاص والتواضع والتضرع بين يدي الله والاعتماد عليه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه في غزوة الفتح وعددهم عشرة آلاف مقاتل،لكنهم دخلوها متواضغين لله متضرعين بين يديه يدعون الله بالنصر والتمكين فنصرهم الله ومكنهم ودخل الناس في دين الله أفواجا.

قال ابن كثير في تفسيره في شأن غزوة حنين:"وقد كانت وقعة " حنين " بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وذلك لما فرغ عليه السلام من فتح مكة ، وتمهدت أمورها ، وأسلم عامة أهلها ، وأطلقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه ، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ، ومعه ثقيف بكمالها ، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر ، وأوزاع من بني هلال ، وهم قليل ، وناس من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنعم ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جيشه الذي جاء معه للفتح ، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة ، وهم الطلقاء في ألفين أيضا ، فسار بهم إلى العدو ، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له " حنين " ، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح ، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن ، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم ورشقوا بالنبال ، وأصلتوا السيوف ، وحملوا حملة رجل واحد ، كما أمرهم ملكهم ، فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله - عز وجل - وثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو ، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر ، يثقلانها لئلا تسرع السير ، وهو ينوه باسمه - عليه الصلاة والسلام - ويدعو المسلمين إلى الرجعة [ويقول] أين يا عباد الله ؟ إليَّ أنا رسول الله ، ويقول في تلك الحال : " أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ "

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ومنهم من قال : ثمانون ، فمنهم : أبو بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - والعباس وعلي ، والفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم - رضي الله عنهم - ثم أمر - صلى الله عليه وسلم - عمه العباس - وكان جهير

الصوت - أن ينادي بأعلى صوته : يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان ، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ، على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم : يا أصحاب السمرة ويقول تارة : يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع ، لبس درعه ، ثم انحدر عنه ، وأرسله ، ورجع بنفسه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فلما رجعت شرذمة منهم ، أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة ، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره ، وقال : **"اللهم أنجز لي ما وعدتني"** ثم رمى القوم بها ، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ، ثم انهزموا ، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون ، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وكان من شأن أمير هوازن مالك بن عوف النصري فقد أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس وهي وادٍ في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين،اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به،وكان رجلا مسنًا أعمى ذا رأي فيهم،وقد كان أميرهم السابق، فلما نزل قال: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل! ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء ؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم لئلا يفروا، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، فزجره ثم قال: وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب،(يعني لو تركوا الغزو) يا مالك،ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم،(يعني النساء والصبيان والشاء) فإن كانت لك لحق بك من وراءك،

وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطعيننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي، فقالوا: أطعناك،

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن، ثم مر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وفيهم من الأعراب حديثو عهد بإسلام فمروا على شجرة للمشركين يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا شجرة مثلهم نتبرك بها ونعلق أسلحتنا بها لتنكي بالعدو فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، وبين لهم أن التبرك بالشجر أو الحجر أو القبور ونحو ذلك شرك،كما عند الترمذي عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَه: ذَاتُ أَنْوَاطٍ . يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "**.

وروى مسلم عن عَبَّاسٌ رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ : وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ (2)"**. فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا - فَقُلْتُ بِأَعْلَى

2-أي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوا تحتها.

صَوْتِي : أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ؟ قَالَ : فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا : يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ. قَالَ : فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ ،وَالدَّعْوَةُ(3) فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. قَالَ : ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا : يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ(4) "**. قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ : **" انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ "**. قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا(5)، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. وَقَالَ : " انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ". وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ : حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ قَالَ : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ.

وروى الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،رضي الله عنهما قَالَ : لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ، قَالَ : انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ(6)، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ : وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ(7) ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ، وَفِي أَحْنَائِهِ(8) وَمَضَايِقِهِ، قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، فَاسْتَمَرُّوا لَا يَلْوِي(9) أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ : " إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَاأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ". قَالَ : فَلَا شَيْءَ احْتَمَلَتِ الْإِبِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْطَلَقَ النَّاسُ، إِلَّا أَنَّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ : وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ، فِي يَدِهِ رَايَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ، فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، فَإِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَ لِمَنْ وَرَاءَهُ

3- أي الاستغاثة بهم
4- أي:اشتدت الحرب.
5-أي:قوتهم ضعيفة.
6-أي واسع كبير القعر.
7-أي ظلمة الصبح
8-أي:منعطفاته.
9-أي لايلتفت ولا يميل.

فَاتَّبَعُوهُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : بَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ، يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ فَضَرَبَ عُرْقُوبَيِ الْجَمَلِ، فَوَقَعَ عَلَى عَجُزِهِ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ، وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسْرَى مُكَتَّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال:".. فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ : " شَاهَتِ(10) الْوُجُوهُ ". فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت القوم لم يفر ولم يجبن، فلعمر الله لقد كان أشجع القوم وأقواهم، وكان يكون في المقدمة،بل يتقدم ببغلته نحو العدو، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا حمي الوطيس اتقوا به عليه الصلاة والسلام،فقد روى الإمام أحمد عن عَلِيٍّ ،رضي الله عنه، قَالَ : لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَا كَانَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ.

وفي غزوة أحد كان كذلك فر من فر وهو في قلب المعركة حتى أحدق المشركون به، حتى قُتل حوله سبعة من أصحابه دفاعا عنه صلى الله عليه وسلم،وفي غزوة حنين كان كذلك،فقد روى البخاري أن رَجُلا قال لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ قَالَ : لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :**" أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ "**

فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتبعهم فيها المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم، وذراريهم، وشاءهم،

10-أي قبحت

وفر رأيسهم مالك بن عوف، حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه.

ولقد كان لنساء الصحابة مواقف مشرفة في الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكان عندهن شجاعة وبسالة عجيبة، حيث كن يثبّتن المجاهدين ويشجعنهم،ويدفعن بأزواجهن وأبنائهن إلى أرض القتال،ويشاركن في المشورة، من هذه النسوة أم سليم رضي الله عنها كما عند مسلم عَنْ أَنَسٍ ،رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَا هَذَا الْخِنْجَرُ** ؟ ". قَالَتِ : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ[11] ؛ انْهَزَمُوا بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ "**.

[11]- هم الذين خلّى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترِقّهم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى،والصلاة والسلام على نبيه المجتبى ورسوله المرتضى،بعثه الله إلى الورى بالنور والهدى،وبالسنة الغراء ليلها كنهارها،وعلى آله الأتقياء وصحابته الأبرياء وعلى من تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم،والكرامات لأصحابه رضوان الله عليهم، أن الملائكة شاركت مع المؤمنين في هذه الغزوة كما شاركت في غزوة بدر والأحزاب وغيرها من الغزوات، فثبت الله بهم المؤمنين وهزم بهم المشركين، كما قال تعالى :**{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }**[سورة الأنفال : 12]

وفي غزوة الأحزاب قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }**[سورة الأحزاب : 9]

وفي هذه الغزوة أيد الله المؤمنين بالملائكة بعد أن ولوا مدبرين ولم يبق إلا القليل منهم بسبب ما حصل لهم من كيد ومكر من المشركين إذ كمنوا لهم في تلك الشعاب وباغتوهم في ذلك الوقت قبل أن يسفر الصفح فحصلت لهم الربكة والاضطراب، وهذا من طبيعة البشر أن يحصل لهم من هذه الأمور عند المفاجآت، لكن الله ثبت نبينا صلى الله عليه وسلم ومن معه وأيدهم بجنود لم يروها،قال تعالى: **{ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }**[سورة التوبة : 26]

قال المفسر السعدي رحمه الله: "والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.**{وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}** وهم الملائكة،

أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر{وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.{وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ"ا.ه.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، (أنه حدث) عن جبير ابن مطعم، قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد[12] الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

وروى الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن الفهري رضي الله عنه قال كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، فَسِرْنَا فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ الْحَر..وذكر الحديث ثم قال :"ثُمَّ اقْتَحَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ فَرَسِهِ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَأَخْبَرَنِي الَّذِي كَانَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنِّي : ضَرَبَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، وَقَالَ :" شَاهَتِ الْوُجُوهُ ". فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ : فَحَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ، عَنْ آبَائِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا : لَمْ يَبْقَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمُهُ تُرَابًا، وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَإِمْرَارِ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ الْحَدِيدِ"

هكذا نصر الله دينه بنبيه صلى الله عليه وسلم وبصحابته رضوان الله عليهم،فقد أبلوا بلاءً حسنا،وعانوا أشد المعاناة، وصبروا وصابروا،فقد ابتلاهم الله بالفقر والجوع والقتل والجراحة وأنواع البلايا،ولهذا رضي عنهم ورفع درجاتهم،ووعدهم بالجنة قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }[سورة البقرة : 214]

وقال سبحانه:{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[سورة التوبة : 100]

فيجب على كل مسلم أن يعرف لهم حقهم ويدعو لهم ويقتدي بهم،ومن لم يكن كذلك،أو عاداهم فليس من الإسلام في شيء،وقد جمع الله المهاجرين

12-أي الكساء الأسود.

والأنصار ومن جاء بعدهم في ثلاث آيات متتاليات في سورة الحشر فقال تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (10) }[سورة الحشر : 8 إلى 10]

ولا يجوز التنقص لهم ولا سبهم ولا الطعن فيهم فإن ذلك علامة النفاق،فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"**

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:**«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**

وروى البخاري ومسلم عن الْبَرَاءَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ : **" لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ "**.والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة جدا.

اللهم إنا نشهدك ونشهد ملائكتك وجميع خلقك أننا نحبهم ونحب من يحبهم ونبغض من يبغضهم،اللهم فاحشرنا معهم،اللهم احشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،اللهم إنا نسألك مرافقة نبيك محمد في أعلى درجات الخلد،اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين والحمد لله رب العالمين.